جمعية البلاغ الثقافية
Al-Balagh Cultural Association

سلسلة قضايا شبابية

من أنا؟
الشباب والتعرف على الذات

د. إبراهيم عبد الله الأنصاري

سلسلة
قضايا شبابية

من أنا؟
الشباب والتعرف على الذات

إعداد
د. إبراهيم عبد الله الأنصاري

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية:	Legal Deposit No / /
الرقم الدولي (ردمك):	ISBN

جمعية البلاغ الثقافية

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

دار روزا للنشر

الشباب والتوجهات الفكرية

إن الواقع الذي نعيش فيه اليوم يعج بالعديد من التوجهات الفكرية التي تُعرَض على الشباب وتؤثر عليهم، فهناك توجهات في وسائل التواصل الاجتماعي، وفي وسائل الإعلام الأخرى التي يشاهدونها حولهم من واقع الحياة، وهناك سوق كبير من الأفكار والرؤى والتوجهات والبرامج والمشاريع المختلفة بعضها لأشخاص ومفكرين ودعاة، وبعضها لحركات وأحزاب ومنظمات، وهذه الأفكار تتناول قضايا متباينة وعديدة.

- منها ما يتناول النظرة الفلسفية للكون وللوجود، والغاية من وجود الإنسان على اختلاف النظرات الفلسفية المتعلقة بهذا الأمر.

- ومنها ما يتعرض للنظر في مستقبل الأمة ومستقبل الوطن، ومستقبل الشباب، ويقترح عددا من البرامج والحلول والمشاريع.

- ومن هذه الأفكار ما يتناول قضايا جزئية محددة مثل قضايا الحقوق، حقوق المرأة، وحقوق الحيوان، وقضايا البيئة والحفاظ عليها، وقضايا صحية معينة وأشياء معينة من السلوكيات الاجتماعية.

أما الشاب فإنه يجد نفسه وسط هذا السوق الهائل من الأفكار في مجالات مختلفة، حيث يعرض فيه ألوان وأشكال من الأفكار والتوجهات، منها أفكار جيدة وأخرى سيئة وأفكار إيجابية وأخرى خطيرة ومدمرة وسلبية، هذا السوق صاخب، فيه عرض وطلب، مثله مثل أي سوق، فيه دعايات، وفيه وسائل الإقناع، وفيه ما يحدث في كل سوق من المنافسة والمشاحنة والعلاقات والصداقات والعداوات، إذاً هذا السوق ليس معرضًا صامتًا للأفكار، ولكنه معرض حي؛ لا يدخله الشاب فيتفرج فقط على الأفكار، فالشاب في كل لحظة يلتقي بمن يدعوه لاعتناق فكرة

معينة، وبمن يعرض عليه فكرة، أو بمن يعرض عليه التخلي عن فكرة، أو يساهم معه في تقديم فكرة معينة، وهنا يجد الشاب نفسه أمام دعوات كثيرة منها ما يدعوه للعمل المشترك في مشروع معين، ومنها ما يدعوه لنشاط معه في حركة معينة، أو الانضمام لمنظمة أو حزب أو جماعة أو حركة.

وأمام هذه الحركة الصاخبة لهذا السوق وهذه التوجهات المتباينة يجد الشاب نفسه، ينسحب إلى طورٍ جديد من حياته فيه انتماء وولاء لأشخاص معينين، ولأفكار معينة، أو لجماعات ولأحزاب، وفيه أيضًا معاداة ومواقف حادة وحازمة من أفكار وأشخاص، وتوجهات أخرى، ويجد الإنسان نفسه يشعر بتأنيب الضمير وبالإثم، ويشعر أنه قصَّر حينما يتخلى عن هذه الفكرة أو يقصِّر تجاه فكرته أو حينما لا يتحدى الأفكار المنافسة ويواجهها.

وهنا لدينا وقفات مع هذه المشاعر عند الشباب إزاء التوجهات الفكرية.

1- الشاب يتعرض لسوء الأفكار بشكل مباشر أو غير مباشر، ويكون في لحظةٍ ما أمام اختيار، ويجد نفسه مدفوعًا لتحديد موقفه من هذه الفكرة أو تلك، أو موقفه من هذا الشخص أو ذاك، أو موقفه من هذه الجماعة أو تلك.

بما أن الشباب ممتلئون حيوية ونشاطًا واندفاعًا؛ وهؤلاء الشباب لا يزالون قليلي الخبرة في هذه المرحلة من العمر، وقليلي خبرة بالسوق وبما يطرح فيه من أفكار، وما يقال فيه من توجهات، وبسبب أن بعض أصحاب هذه الأفكار والتوجهات لهم أهداف ومرامٍ وغايات بعضها معلن واضح، وبعضها خفي غير معلن، فقد يجد الشاب نفسه بعد فترة من الزمن في موقف يشعر أن عليه أخذ قرار بأن يصادق مجموعة من الناس ويعادي مجموعة، ويوالي هؤلاء ويتبرأ من أولئك، ويواصل طرفا من الأطراف، ويقاطع طرفا من الأطراف، ويجد نفسه رويدًا رويدًا يحذِّر من أشخاص، ويحذِّر من توجهات، ويتوجس منهم، وقد يكونون أهله أو أبناء حيه مثلا.

ويجد نفسه أيضًا يسلم عقله وأفكاره، ويبذل وقته وجهده لأناس آخرين ربما كانوا غريبين عنه؛ لأنه يرى ويعتقد أن أفكارهم واحدة، وأنه تجمعهم توجهات فكرية واحدة، وقد يكون هؤلاء الناس أيضًا أغراباً عنه، ثم يجد الشاب نفسه بعد ذلك في وسط معركة لا يعرف كيف دخل فيها، وهذه المعركة فكرية عاصفة تستنزف جهوده وعمره، ولا تترك له فرصة لكي يلتقط أنفاسه ويفكر ويقيم مواقفه، وأثناء ذلك يجد نفسه مندفعًا للعمل مع هؤلاء، وللعمل ضد أولئك، وهو في جو يصاحبه عداوات وحزازات، ومكائد ومؤامرات، واستهزاء بأشخاص وتسفيه بأحلامهم، كل طرف يسفه الآخر، وكل مجموعة تسفه الأخرى وتتحداها.

والذي يحترق في هذه المحرقة الكبيرة هم ثروة الوطن الكبرى، وهم الشباب والشابات الذين يدخلون في هذا المعترك دون سابق خبرة، ولا يجدون من يدلهم على الأهداف البعيدة التي تنفعهم كأشخاص، وتنفع أوطانهم ومجتمعاتهم، بل يلهثون خلف أهداف قريبة تتمثل في الانتصار لأفكارهم المباشرة، والانتصار لتوجهاتهم، أو الانتصار لمجموعاتهم الضيقة هذه.

2- اختلاف شعور الشباب تجاه توجهات فكرية وافدة سواء سلبية كانت أو إيجابية، فالشاب بشعوره ينجذب إلى الفكرة بغض النظر عن صوابية الفكرة أو خطئها، فالشعور حالة نفسية، وهي حالة الشحن النفسي وتمزيق الشاب بين فكرته وبين المجموعة التي يعيش معها، وهذه الحالة تمزق الشباب وتستهلكه، وهي حالة موجودة في كل الأفكار تقريبًا، وموجودة في كل التوجهات، والشاب إذا اقتنع بالفكرة وخلبت عقله يتحول في تصديقها ونصرتها واعتناقها والدفاع عنها، ويتحول إلى حال حديَّة؛ وذلك بأن يرى أن فكرته ليس فيها خطأ أبدًا، وأنها صواب مئة بالمئة، ولا يرى في أفكار الآخرين أي صواب أو أي إيجابية، ثم يعقد آمالا كبيرة جدًا في سبيل أن يسوِّق هذه الفكرة وينصرها، وفي سبيل أن يراها تسود في الناس، وكذلك يبذل جهودا كبيرة في إزالة العقبات التي تعترضها، ومقاومة

المعكرات التي تحيل دونها، وهذه العقبات والمعكرات هي في الغالب أفكار لشباب آخرين وأفكار لمجموعات وتوجهات أخرى.

وهذه الحالة المذكورة تنطبق على الأفكار الصحيحة والأفكار الخاطئة على حد سواء، سنجدها تنطبق على الأفكار الدينية، والإيديلوجية، والأفكار التحررية والتنويرية، حتى على الدعوات الحقوقية والدعوات البسيطة وإن كان بنسبة أقل، كلها تقريبًا تؤثر على الشاب وتترك عليه الأثر.

ومن الجيد أن نُسمِع الشاب الآن خلاصة تجربة وخبرة من عاش مثل هذه التجارب، ومر بتقلباتها، ونلخصها له بعينٍ ناقدة.

أقول للشاب في نهاية المطاف، وبعد أن يقطع شوطًا طويلاً من هذا الصراع سيجد أن الأفكار التي قد اقتنع بها ودافع عنها، وعادى ووالى من أجلها، ومرة يلبسها ثوب الدين ونصرته، ونصرة العقيدة، ومرة يُلبسها ثوب العقل والتنوير، والمنطق والمعقولية، ومرة يلبسها ثوب الوطنية، ومرة يُلبسها ثوب هذا أو ذاك، سيجد بعد طول العناء والمعاناة أن هذه الأفكار التي مر عليها في مرحلة الشباب لا تعدو واحدًا من ثلاثة أنواع:

أ- النوع الأول: قد يكتشف الشاب حينما يكبر قليلًا أن هذه الأفكار خاطئة، وبالتالي يكتشف أنه أهدر عمره وجهده في طريق خطأ، ثم تراه يتراجع ويترك هذه الأفكار، وربما البعض ينقلب ضد هذه الأفكار إلى النقيض، فيكون غير منطقيٍّ في اعتناق الفكرة، وغير منطقيٍّ حتى في الرد عليها.

ب- الاحتمال الثاني : يجد أن أفكاره كانت صحيحة، ولكن ليست صحيحة بنسبة قاطعة؛ وهكذا طبيعة الأفكار والتوجهات ليست شيئًا مفردًا، لكنها أفكار مركبة من آراء ومواقف وأولويات وقرارات وأمور كثيرة، وبالتالي يصعب الجزم أن

التصرف الفلاني هو الصواب مطلقاً، وأنه هو الصواب الذي لا صواب سواه، وسيجد أن أفكاره قد تكون صوابًا لكنها تحتمل، وأفكار غيره كان فيه جانب من الخطأ ولكنها قد تحتمل صوابا، وأنه قد يكون معه الحق بنسبة معينة، ومع غيره الحق بنسبة معينة.

ج- الاحتمال الثالث: قد يجد الشاب نفسه بعد طول العناء أن أفكاره صحيحة مئة بالمئة، وأن الأفكار المنافسة له أفكار خاطئة، لكن لم يكن يستدعي الأمر أكثر من اعتناقها والدعوة إليها بهدوء، ومناقشتها بجميع التوازن والاعتدال، فلا يستدعي الأمر هذه العداوات والسباب والشتام والمؤامرات التي تحدث ساعات بين الشباب، ولم يكن يستدعي هذا العداء والتنابذ والتناحر.

ففي كل الأحوال مهما كانت درجة وضوح الرؤية عند الشاب فلا يستدعي الأمر هذا الجو المشحون الذي يصاحب هذه الأفكار والانتماءات.

الشيء المضحك المبكي أن الشاب بعد فترة من نضجه ونضج تفكيره ربما يكتشف أنه عادى أناسا يحملون نفس فكرته، ويتفقون معه بالأفكار أو على قدرٍ كبير جدًا من الأفكار، ربما يتجاوز تسعين في المئة، ولكنهم يعبرون عنها بطريقة مختلفة أو يرتبون الأولويات بطريقة مختلفة، ويرى نفسه دخل معهم في معارك، ومع أنه لم يكن الأمر يستدعي هذا.

وربما يكتشف الشاب أنه دخل صراعات وجدالات، وكدَّ ذهنه ليالي طويلة مع أناس يتفق معهم بنسبة تسعين في المئة، وكانت كل صراعاته معهم على هذه الخمسة بالمئة الباقية، يريدهم أن يتفقوا معه مئة بالمئة، ويجد أنه عطَّل نفسه، وأضاع وقته، وضيع أوقات الآخرين عن الإنجاز فيما يتفق فيه التسعين في المئة هذه أو الخمسة وتسعين في المئة، وشغلهم وشغل نفسه بالخمسة بالمئة.

*** أوضح هذه النقطة بمثال:**

أضرب مثالا بالاتجاهات الإسلامية على اعتبار أني في كلية الشريعة ، وأتعامل مع هذا الاتجاه أكثر، ولكن الكلام هنا ينطبق على كل التوجهات الإسلامية، والتوجهات العقلانية، والتنويرية، والتحررية، والليبرالية، دون تزكية لتوجه أو نقض لتوجه، فإن الشباب الذين ينتمون إلى الاتجاهات الفكرية من نفس الفكر أو الاتجاهات الإسلامية كلهم يتفقون على أصول الإسلام الكبرى، وكلهم يتفقون على أركان الإيمان وأركان الإسلام، ويتفقون على مبادئ الأخلاق، وقد يختلفون على كيفيات وتفاصيل، لكن هذه التفاصيل ليست هي الأساس للنهج الإسلامي مقابل القواعد الكبرى للدين والعقيدة والأخلاق، وإن ترك الشباب الدعوة لهذه القواعد الكبرى، وانشغالهم بالجزئيات قد يؤدي إلى ضياع هذه القواعد، ومن ثمَّ ضياع الدين.

ولو نظرنا لحجم الخلاف والتنابذ في هذا الجو الإسلامي جو الدعاة، ثم نسأل:

- كم حجم الاختلاف والتنابذ والهجوم والتسقيط بينهم؟
- كم حجم الدعايات السوداء التي تخرج من فريق على آخر؟
- كم حجم التسجيلات التي تتصيد الأخطاء والفضائح؟
- كم حجم الهجوم من هذا الفريق على رموز هذا الفريق، ومن هذا الفريق على رموز هذا الفريق؟
- كم يربك هذا المجتمع ويربك الناس ويربك الشباب؟

كل هذا بسبب الاندفاع خلف هذه الأفكار، والانتماءات، وتضخيم الجزئيات، وعدم التروي والهدوء في تناول هذه الأفكار؟

3- هل يُنصح الشباب بترك هذه التوجهات والأفكار جميعها؟

الحقيقة بغض النظر عن كون الفكرة صواباً أو خطأ، أن الشباب بحماسهم حينما يعتنقون فكرة تصبح هذه الفكرة في نظرهم فكرة مصيرية مهما كان نوع الفكرة، وفي الدعوة لها، وفي بذل الجهود لتزيينها، ويجدون أنفسهم مع الوقت يدخلون في النقاشات والحوارات والجدالات، ينتج منها التشنج والتعصب بين الشباب بعضهم البعض، وربما تعدى بعضهم على بعض بالسب والانتقاص، ويحدث هذا دون تمييز لدرجة هذه الفكرة في الأهمية، ودون تمييز هل هذه الفكرة صواب أو خطأ، وتحدث الشحناء والخلاف والانتصار للرأي، ويبدأ الشباب يبحثون عن النصر في نقاشاتهم وإسكات الآخرين بكل الطرق سواءً كانت مشروعة أو غير مشروعة، ويبدأ الكيد والدس والتعصب، وينشأ طقم من الأخلاق السيئة والشاذة المخالفة للعقل وللشرع، وللفطرة السليمة، نحو السب والتلفيق وكتمان الحقائق وترويج الشائعات.

كل هذا في سبيل ماذا؟

في سبيل أن ينتصر الشاب لفكرته، وقد تكون الفكرة بالأصل التي يريد أن ينتصر إليها فكرة تقوم على قيم وأخلاق وإيجابيات، لكنه في سبيل نصرتها يرتكب كل ما يناقضها من سوء الخلق والكذب والتلفيق، فالشاب دون أن يشعر يناقض فكرته عمليًا بينما يدعو لها نظريًا.

هذا الجو المشحون والمتأزم يدفع فئة من الشباب والشابات إلى الإضراب صفحًا عن كل هذه التوجهات والأفكار والقيم، فيتركونها جميعًا، وجُل ما يُعرَض من الأفكار بهذه الطريقة، فنجد الشباب الذين يتخذون موقفًا من هذه الأفكار والتوجهات يجلسون دون بديلٍ معقول، لأنهم لا يجدون البديل، فيكونون عرضة لضحالة الأفكار، ولهشاشة المنطق، وانخفاض مستوى الاهتمامات، وعرضة للسطحية والنزوع إلى المظاهر الفارغة، مظاهر اللباس والتسريحات والقصات

وغير هذا، ومع تلغيم الجو بالأفكار الفاسدة ربما يسقطون ضحية للإباحية والمعاصي والفراغ الروحي القاتل؛ فإن الإنسان إذا عطل العقل انقاد لشهوات البطن والفرج وما تجره ذلك من اللهاث خلف المتعة والشهوة وغيرها.

ولا شك أن الشاب ليس محصورًا بين هذين الخيارين؛ التعصب أو الفارغ، فهناك أمور أخرى يستطيع الشاب أن يدخل فيها، وبالتالي يستطيع أن يقيم هذه الأفكار ويتخذ قرارًا صحيحًا تجاهها.

4- ومن النصائح التي يمكن تقديمها للشباب حتى ينجو من هذه الطريق لتقوية شخصيتهم الفكرية أمام التوجهات والأفكار جميعها، وذلك بأن يسأل الشاب نفسه عن الأفكار التي يختارها ويعتنقها هل يختارها عن قناعة وتفكير عميق فيها، أم يتَّخذها تقليدًا ومسايرةً لأصحاب، أو إعجابًا بشخصيات مفكرة وغيرها؟

أقدم للشباب نصيحة من ست خطوات عملية:

1- الخطوة الأولى: استكشف تعصبك وميز بينه وبين بحثك عن الحق.

2- الخطوة الثانية: ركز على الأفكار وابتعد عن خداع الأشخاص والرموز.

3- الفكرة الثالثة: لا تتجاوز الأسئلة المفصلية والمصيرية حول الفكرة.

4- الفكرة الرابعة: لا تستحي من التغيير إذا كان للأفضل فهو طبيعة البشر.

5- الفكرة الخامسة: اعمل لأفكارك وتحمس لها لكن لا تصارع وتعادي الآخرين من أجلها.

6- الفكرة السادسة: بينما تتقدم أيها الشاب في العمر انتبه أن فكرك يزداد نضجًا، وفكرتك تتبلور وتثقل.

وإليك جزء من التوضيحات لهذه الخطوات:

الخطوة الأولى: استكشف تعصبك وميز بينه وبين بحثك عن الحق.

على الشاب حينما يعتنق فكرة ينتبه لتصرفاته وطريقة تفكيره لما يعتمد داخل نفسه تجاه هذه الفكرة.

- إذا وجد الشاب أثناء نقاشه لفكرةٍ ما أنه لا يريد أن يفقد الثقة بالفكرة، وأنه يخاف أن يبحث في الأدلة حول هذه الفكرة، فإن هذا دليل على أنه يقع في التعصب، ودليل على أنه لا يريد أو يخاف أن يستكشف خطأ هذه الفكرة.

- إذا كان الشاب أثناء نقاشاته يميل إلى الاستهزاء بمناقشه، ويميل إلى الاستهزاء بالشكل والصوت، ويرى نفسه يبتعد عن فكرة الشخص ويركز على شكل الشخص وصوته، هذا دليل على أنه يتعصب ولا يبحث عن الحق.

- إذا كان الشاب يفسر قول الآخرين ثم يرد على تفسيره الذي هو يراه أنه هو معنى قول الآخرين، ولا يترك لهم أو لا يعترف بما يعبرون به عن أنفسهم، هذا أيضًا دليل على أنه يتعصب، وهذا الذي نسميه المؤاخذة بلازم القول، أنت تقول كذا، إذاً يلزم من قولك أنك كذا، ثم يرد على اللازم، ليس هذا بالضرورة موقفًا صحيحًا.

والعكس بالعكس، إذا كان الشاب في النقاش ميالًا لاحترام الطرف الآخر، والسماع منه، والتعرف على ما عنده من أدلة، فهذا إنسان باحث عن الحق. وإذا كان يصغي بحرص ويستوضح ما يقصدون، يسأل بلطف: أنت ماذا قصدت بالكلمة الفلانية؟ ماذا قصدت بالمعنى الفلاني؟ هذا إنسان باحث عن الحق. وإذا كان يفرح كلما اكتشف دليلًا يقوي فكرته أو يتناقض معها، يفرح بالدليل، ويفرح بالحقيقة التي يكشفها الدليل، ويحاول أن يعدل فكره باستمرار ليتوافق مع الأدلة، فهذا إنسان باحث عن الحق وليس متعصبًا.

الخطوة الثانية: ركز على الأفكار وابتعد عن خداع الأشخاص والرموز.

أحد أخطر الممارسات القاتلة هي الشخصنة، وذلك أنك تترك الفكرة وتركز على شخص القائل، أو على رمز الفكرة، أو على المنظِّر الذي طرح الفكرة، والخطورة هنا تأتي سواءً كان الشاب يؤيد الفكرة أو يعارضها:

- في حال التأييد يصبح الشاب مؤيدًا للفكرة بسبب إعجابه بهذا الشخص، أو بصديق يحمل هذه الفكرة، أو برمز، أو بمفكر، أو داعية دون أن ينظر للفكرة، وبالتالي يحكم بصواب الفكرة لأن فلانا يقولها، لا لأن أدلتها قوية، ويحكم بأن ما لم يقل به فلان، أو ما يعارضه فلان فهو خطأ، لا لأن أدلته ضعيفة. هنا يصبح عند الشاب استلاب لبريق هذه الشخصية، وأي شيء تقوله هذه الشخصية صحيح، وهذا يحرمه من النظر بعقلانية ومنطقية للأفكار.

- على النقيض من ذلك إذا لم يكن يؤيد الفكرة، فإن الشاب سيكون منشغلاً بعيوب هذا الشخص الذي يقول بالفكرة وبالبحث عن أخطائه ومساوئه، ويتناسى التركيز على الفكرة هل هي صواب أم خطأ، وهذا يحرمه من خيرٍ كثير لأنه يرفض هذا الخير ويرفض الحقائق والأدلة، ولأن الكلام جاء من فلان وهو لا يعتقد أن فلانا صواب.

ينبغي على الشاب أن يعلم الشاب أنه لا يوجد أحد على وجه هذه الأرض بعد محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كل كلامه صواب، أو كل كلامه خطأ، هذا الوصف غير موجود في أي شخص، لا الذين تعارض فكرتهم كلهم خطأ، ولا الذين تؤيد فكرتهم كلهم صواب، وبالتالي على الشاب أن يتخلص من الاستلاب للإعجاب بالأشخاص أو الازدراء منهم، ويركز على الأفكار وأدلتها حتى يصل إلى الحقيقة.

الخطوة الثالثة: لا تتجاوز الأسئلة المفصلية والمصيرية حول الفكرة.

قد يلتقي الشاب بمناقشين يُلْقُون عليه أسئلة مصيرية وحاسمة، وتشكل

الإجابة عليه هزا لقناعاته الفكرية، وهنا يلجأ الشاب عادةً لخدعة نفسية هو أنه يتجاوز هذا السؤال المصيري، إما بأجوبة تخديرية، مثل أكيد يوجد جواب لهذا، أو أكيد الكتب الفلانية جاوبت، ولكنني لا أعرف فقط، أو أكيد المفكر الفلاني أو الرمز الفلاني يملك الجواب، ومن ثم لا يعمل فكرة، ولا يُجهِد نفسه في البحث عن هذا الجواب، فما دام مفكرنا يقول هذه الكلمة كذا فأكيد عنده أدلة، وأكيد عنده ردود على هذا الذي طرحته، هذه خدعة للنفس، فالبحث عن جواب لهذا السؤال المصيري مهم.

والنصيحة هنا أن يتوقف الشاب أمام هذه الأسئلة، ثم يطرحها هو على من يثق بهم، أو على من يروج لأفكارهم، ويسمع أجوبتهم، ثم يقرر بعد ذلك، ففي هذه الحالة الشاب أمام واحد من هذه الخيارات:

- إما أنه سيكتشف ضعف الفكرة التي يعتنقها وبالتالي يتخذ قرارًا بأن يتركها، وألا يستمر فيها أو يعدلها.

- أو يكتشف أن السؤال المطروح سؤال ضعيف وليس له معنى؛ وتوجد عليه أجوبة قوية، وبالتالي تزداد ثقته في فكرته، ويزداد وضوحها عنده، وهو الكاسب في الحالتين حينما يبحث عن جواب لهذه الأسئلة المصيرية.

على أي حال ينصح الشاب ألا يُهمِل هذه الإجابات المصيرية حول أفكاره.

الخطوة الرابعة: لا تستحي من التغيير إذا كان للأفضل فهو طبيعة البشر.

هذه الخطوة مبينة لما سبق، فالشاب في خضم الأفكار والتعامل مع الأسئلة، عليه ألا يخاف ولا يستحي من تغيير فكرته أو تعديلها ولو تعديلاً طفيفًا، فأنت أيها الشاب كلما طرأ لك تساؤل أو بحثت عن إشكال فعدِّل تصورك وغَيِّر في جمودك وعدِّل فكرتك، فلا بأس بذلك، ولكن انتبه أن يكون هذا التغيير والتعديل لا يكون مبنيا فقط لمجرد إعجاب آخر بشخص آخر، وإنما يجب أن يكون هذا التغيير مبنيا

على دليل ليكون تغييرًا للأفضل، ولا يكون انتقالا فقط من ضفة إلى ضفة، أو من إعجاب لإعجاب، وإلا فإن التغيير في حد ذاته ليس له قيمة، وليس هو هدف بحد ذاته، فينتبه الإنسان أنه حينما يغير مواقفه ويعدلها فإنه يزداد نضجًا، ويبلور نفسه بشكل أفضل.

الخطوة الخامسة: اعمل أو ادعُ إلى أفكارك وتحمس لها لكن لا تصارع ولا تعادي آخرين من أجلها.

الشباب عادةً يكونون متحمسين لأفكارهم، وكان الأولى بهم أن يفرقوا بين هذه الحماسة والتعصب الذي يدعوهم لمصارعة الآخرين ولمنافستهم.

الحماسة والعمل للفكرة معناها عمل دائب وتفكير دائم حول الفكرة، وهذا هو السبيل لتنضيج الفكرة والرقي بها وتمهيد السبل لها، وحل الشبهات التي تثار حولها، وهذا يستدعي عملاً دؤوبًا متواصلاً وهادئًا عن طريق النقاشات، ويحتاج إلى عمق فكري، أما الصراع والصراخ والجلبة والمنافسات والحوارات العشوائية فهذه تُضْعِف الأفكار، وتستنزف الجهود، وتفرق الناس، وبالتالي نخسر أفكارنا، ونخسر مكانتنا في قلوب الناس حتى لو كانت الفكرة فكرة قيمة.

ونحن نرى اليوم كثيرا من الناس يتبنون أفكارا في غاية الثمانة والقيمة لكنهم يعرضونها بشكل سيئ، ويعرضونها بشكل منفِّر فتخسر الأفكار قيمتها بسبب هذا العرض السلبي.

الخطوة السادسة: بينما تتقدم أيها الشاب أو الفتاة في العمر انتبه أن فكرك ينضج وفكرتك تتبلور وتصقل:

هذه ليست نصيحة بقدر ما هي لفت نظر للملاحظة، فالشاب وهو يكبر إذا كان طَبَّق هذه النصائح الخمسة السابقة سيلاحظ أنه باستمرار يناقش الأفكار،

يعني يُنضِّجها، وأنه تُعرَض عليه الشبهات فيعيد التفكير فيها، ويصبح فكره ينضج، وطريقته في التعامل مع الأفكار والأشخاص والأشياء تتطور، ومن ثم تكون فكرته ومنهجه الذي اختاره ويريد أن يدافع عنه يتضح ويتشكل ويصبح هو أكثر معرفة بأسرار هذه الفكرة، وأكثر قدرة على عرضها وإقناع الآخرين بها، ويصبح كذلك أكثر مهارة في تطوير حياة الناس بهذه الأفكار التي يعتنقها، والتي لم تعد مجرد أفكار نظرية للجدل والنقاش والمنافسة، بل أصبحت أفكارا عملية تنتج شيئًا إيجابيًّا في واقع الناس، وبهذا يتحول الشاب من تابع للأفكار متبن ومدافع عنها إلى شخص يبني الأفكار، وينتجها ويطورها؛ ويتحول من مقلِّد في الفكر ومستهلك له إلى إنسان مجتهد في إنتاج الأفكار، وتطوير مجتمعه، وتطوير حياته وحياة الآخرين بهذه الأفكار.

وهذا هو المستوى الذي نتمنى أن يصل إليه جميع الشباب، وأن يفكروا بهذه الإيجابية، ويتعاملوا بهذا المنطق مع الأفكار والتوجهات.

تساؤلات شبابية

تواجه المجتمعات المسلمة هجمةً إعلاميةً كبيرة تروج لمبادئ وقيمٍ منافيةٍ لقيم ومبادئ الدين، ويؤثر هذا الأمر على الشباب من حيث التزامهم بالدين، حيث بدأنا نشاهد ظواهر تنم عن ضعف الوازع الديني وضعف الثقافة الدينية.

إن ضعف الوازع الديني في نفوس الشباب في هذا العصر ظاهرة ملاحظة، ولكن بذرة الدين موجودة في نفس كل إنسان، وتمر عليها ظروف تجعلها تستيقظ وتزدهر، وربما كانت هذه الظروف في بدايات عمر الإنسان من طفولته، مما يجعل الوازع الديني عنده قويا، ويجعل صلته بالله عَزَّ وَجَل قوية، وقد يتأخر هذا الأمر سنين ثم تحدث حوادث، أو تحدث أمور لهذا الشاب فيستيقظ عندها الوازع الديني.

أما أن يتنكر الإنسان للدين ويتخلص تماماً من الوازع الديني فهي قضية لا تعدو نوعا من المكابرة، أو نوعا من الغرور بالنفس وليست حكمًا عقليًّا منطقيًّا.

الوازع الديني يأتي من مصدرين أساسيين:

1- المصدر الأول: التصورات الموجودة في ذهن الإنسان، ومدى وضوحها، وَوضوح تصوراته أولاً عن نفسه، وعن الكون حوله، وعن سبب وجوده في هذا الكون، ومن أوجده في هذا الكون، وماذا يريد منه، هذه التصورات إذا لم تكن واضحة عند الإنسان فإنه تضطرب بوصلته، وبالتالي يضعف وازعه الديني.

2- المصدر الثاني: الإلتزام بمباديء الدين وأصوله وقيمه والحرص على عدم الخروج عن هذه المباديء مع وجود هذا التصور، فإن الشاب يلزمه إمتثال هذا التصور في الواقع العملي وهذا الذي يسهم في تعزيز الوازع الديني. وإن عدم

ممارسة الإنسان لهذه التصورات، وعدم التزامه بالطاعات وبالقيم، مع عدم التزامه بالصلاة وبفرائض الله، كل هذه الأمور تجعل الإنسان يضعف عنده الوازع الديني.

إذاً باختصار نقول: مبدأ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (البقرة: **277**) يعيد الإنسان إلى تصور صحيح وعمل صحيح وينتج وازعا دينيا قويا.

أولا- من المسؤول عن ضعف الوازع الديني عند الشباب؟

المسؤولية تقع على المجتمع بكامل مؤسساته، وبكامل أفراده، ويندرج تحت هذا تساؤلات متعددة:

أ – هل الشباب عندهم وضوح في التصورات؟

ب – هل قُدِّمت لهم التصورات بوضوح في المساجد، وفي المدارس، وفي الإعلام؟

جـ – هل يتلقون التصورات بوضوح دون مشوشات، أو أنهم يتلقون هذه التصورات بشكل مشوش؟

ما نلاحظه أن هناك ضعفا كبيرا وإرباكا وتشويشا؛ إما أننا نلقي هذه المبادئ على الشباب في مقتبل أعمارهم، بشكل معقد أو ثقيل أو متشابك غامض وغير واضح، وندَّعي أن هذا عمق علمي كما يحدث مثلًا من بعض الدعاة أو غيرهم؛ يسوق الشباب في قضايا خلافية، وفي قضايا كلامية دقيقة وغيرها، بزعم أنه يوضح التصورات العلمية، أو أننا نقدم هذه التصورات بشكل ضعيف وهزيل في المدارس أو في غيرها، وبالتالي يصبح التصور مشوشا عند الشباب.

يضاف إلى ذلك ما يشاهده الشاب في الإعلام، وما ينشغل به في المجتمع من أحداث وممارسات، ومن لعب ومرح، ومن تسوق وغيرها، كل هذه الأمور لا يظهر فيها مبدأ ﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبدأ تطبيق التصورات على الحياة.

وبالتالي يصبح الإنسان كأنه يتكلم عن شيئين منعزلين في حياته:

- تصوراته الغيبية شيء.
- ما يتعامل به في الواقع شيء.

ويحصل فصل عند الشباب بين التصورات التي في ذهنه وما يحركه في الواقع.

والحقيقة أن الإنسان لا تحركه في الواقع إلا القناعات، وإذا كانت تصرفات الإنسان في الواقع تخالف التصورات الدينية التي تلقاها في المدرسة، أو في الوعظ، أو غيره، فإنه سوف ينطلق من قناعاته الذاتية غير هذه التصورات، أي هو استبطن قناعات مختلفة.

ثانيا- من أين أتى الشاب بهذه القناعات؟

إما من التناقض الموجود في المجتمع، أو تلقاها من مواقع التواصل الاجتماعي، أو من الكتب، أو من المدارس.

ومن الأمور التي ينبغي أن نكون واضحين وصريحين مع أنفسنا فيها، وأنا هنا لست ضد المدارس الأجنبية، ولكن لا يمكن لإنسان أن يترك أبناءه في مدارس أجنبية، ثم لا يولي اهتمامًا بتصحيح التصورات، وبالحديث معهم حول القيم الدينية، ونقد هذه المدرسة، وبيان ما هو الصواب، وما هو المخالف للصواب فيما تقدمه، ثم يأتي بعد ذلك يشتكي من ضعف الوازع الديني عند أبنائه، ومن اعتناقهم للإلحاد أو غيره، فأنت الذي أهمل الأمر في البداية.

لست في هذا الأمر ضد المدارس الأجنبية، ولكن ضد أن يتخلى ولي الأمر عن مسؤوليته ويعتمد كليًّا في كل شيء على أطراف أخرى، فأنت كوالد، وأنتِ كأم، مسؤولون مسؤولية تامة عن هذه التصورات عند أبنائكم، ومسؤولون عن اختيار

المدرسة المناسبة، وعن اختيار المعلمين المناسبين، وعن متابعة ما يأخذه الولد من الدروس، وإذا حدث هذا كله فحينئذٍ نضمن أن التصور يبقى إلى حدٍّ ما سليمًا.

وينطبق هذا الموضوع كذلك على الموروث التقليدي للإيمان عند الشاب، فإنه إذا أهمل رب الأسرة، أو أهملت ربة الأسرة، أو أهمل المدرس تصحيح هذه التصورات بالشكل المناسب، واعتمد على تكرار ما يقال، فنحن هنا بصدد غرس الإيمان الموروث، نوع الإيمان الذي يهتز مباشرة في وجه أي صدمة؛ لأنه لا توجد خلفه قناعات، وإذا اهتز الإيمان الموروث هذا، فلا بد من الجلوس مع الشباب ونقاشهم، وفتح الحوار معهم، حتى تُجَدد لهم التصورات، وتُزال الشوائب والأفكار المتعارضة، والأفكار الخاطئة، ويبقى معدن الإيمان سليمًا صحيحًا، وإذا صح التصور في نفس الإنسان، ستصح بعد ذلك تصرفاته بمعنى أن الوازع سيصبح قويا، وسيتحكم في تصرفات هذا الإنسان، والإنسان الذي عنده إيمان راسخ بأن الله مطَّلعٌ عليه، ليس إيمانًا نظريًّا فإنه لا يُشغِب عليه مسألة نحو هل الله موجود أو غير موجود؟ هل يريد مني شيئا أو ما يريد مني شيئا؟

إذا كان التصور واضحا سيثمر مراقبة لله عَزَّ وَجَل في تصرفاته، وسيثمر طاعة لله عَزَّ وَجَل في حركته اليومية.

أما إذا كان التصور عن الله عَزَّ وَجَل ومراقبته غير واضح، وعليه تشويش كبير، وحوله شبهات من الإلحاد وغيرها، فحينئذٍ لن يصبح له أثر في الواقع قوي.

ومن الأمور المهمة في موضوع الوازع الديني، هو أن الإنسان مع وضوح التصور، ورغبته في الالتزام به تَعْرِض له قضايا الشهوة، وهذا جانب آخر بموازاة ما سبق الكلام عنه، فالبيان الذي سبق كان عن الشبهة.

ذلك حين تعرض له قضايا الشهوة، والشهوة تدفعه دفعًا، وتضطره اضطِّرارًا إلى مخالفة بعض الأوامر في بعض الأحيان، هنا تحتاج المحاضن التربوية الأب

والأم والمدرسة وغيرها، أن تحسن التعامل مع الشاب في مرحلة غلبة الشهوة عليه.

ثالثا- كيف يتعافى الشاب من آثار سقوطه في الذنب مرة بعد مرة، فيأمن على وجود الوازع الديني.

الوقوع في الذنب أمر طبيعي وعادي، والإنسان مجبول على ضعفه أمام الشهوة، ولكن هناك باب التوبة مفتوح، ويجب أن يحسن الإنسان التعاون مع هذه الذنوب، ويبادر بالتوبة، ويجعلها وسيلة لتصحيح مساره مع الله عَزَّ وَجَل باستمرار، والارتقاء في العلاقة مع الله باستمرار.

رابعا- أسباب ضعف الوازع الديني في نفوس الشباب

هناك بعض الأسباب ساهمت في هذه الظاهرة من ذلك:

أ- تعرض الشباب الدائم للشهوات والشبهات وهذا من أهم الأسباب الحقيقة لضعف الوازع الديني.

ب- عدم تحمل المجتمع مسؤوليته تجاه الشباب؛ وذلك أن المجتمع مع انفتاحه وتقدمه يصبح سوقًا مفتوحًا لكثير من الأفكار والمعتقدات والسلع والبضائع التي تتعامل مع شهوة الإنسان، والتي تُشْكِل على معتقدات الإنسان، ويصبح مكانًا مفتوحًا، فهنا يحتاج المجتمع أن يتخذ حصانة وأسبابا لحماية الشباب، ويترتب على هذا التقصير ما يأتي:

1. عدم اكتراث المجتمع لهذه الأمور، وهذا أحد أسباب ضعف الوازع الديني عند الشباب، فالشاب يدخل لهذا المعترك بدون زاد، وبدون سلاح يقيه، فينجرف في التيار، وينشأ منه عدم وضوح التصورات، والتصورات تتضح من كثرة الحديث، وتقليب الكلام والنقاش في التعامل مع الشبهات التي تعرض وعلاجها.

2. أن يُترك الشباب في المجتمع معزولين، أو ينعزلون عن أهاليهم، ولا يتثقفون الثقافة الصحيحة، فهذا أحد الأسباب كذلك.

3. الانفتاح الكبير الموجود في العالم، فهناك ضغط عالمي اليوم باتجاه ترويج بعض القيم والمبادئ والمثل التي لا تمت للدين بصلة، وتحت شعارات من الحقوق والحريات وغيرها، ولكنها في الحقيقة وراءها اعتداء على أسس الدين الإسلامي.

خامسا- تعامل الشاب مع جدالات ونقاشات تثير قضايا كبيرة مما تمس جوانب حياة الشباب، وهي تعرض في الإعلام بشكلٍ عقلانيٍّ متماسك

وهذا من أخطر الأمور التي يتعرض لها الشاب، يبدأ الشاب يدرس في المدرسة ويتعامل مع وسائل التواصل، ووسائل الإعلام، والأهل مطمئنون إلى أن الأمور بخير، والأمور طيبة؛ فيهتمون بالرعاية بالأكل والشرب واللبس وغيرها، ولكن لا يهتمون بالجانب الفكري كثيرًا، وأحيانا نجد كثيراً من الوسائل لا تهتم بالجانب الفكري، ولا تتعب نفسها في الموضوعات الخاصة بالجانب الفكري وتنميته، والشباب عندهم تطلع، وعندهم عقول يريدون أن يعتنقوا أفكارًا معينة، ويعيشون من أجلها، ويكافحون لأجلها، هنا تبدأ تعرض لهم الشُّبَه ويبحثون عن أجوبة لها.

الحقيقة أن ما يُعْرَض في مواقع التواصل، أو ما يعرضه الناس في الدفاع عن قضاياهم، والذي يبدو في الظاهر أنه نقاش عقلاني متماسك، فإن الشاب بما أنه ليس عنده عمق في تصوراته الإسلامية، وفي ثقافته الدينية، يجد أن هذا الطرح أقوى مما يملكه، فيبدأ ينجرف أو يقتنع.

والشاب إذا اقتنع يتبنى، ويصبح مضحيًا من أجل هذه الفكرة.

إذاً نستطيع أن نوظف ما سبق ذكره: أن ثمة فرقاً بين الإيمان الموروث التقليدي القائم على غير أدلة، والإيمان الحقيقي القائم على أدلة، والشاب حين

يتعرض للشبهة فإنه يصطدم بأي واحد من الإيمانين؟ وإذا اصطدمت بالتقليدي ستتغلب عليه فورًا، لماذا؟

لأنه إيمان بدون أدلة، والشبهة آتية تطرح أدلة شكلها عقلي، ظاهرها مقنع أكثر، ويسهل على الشباب أن يقتنع فيها.

لكن حينما تأتي الشبهة وتصطدم بالإيمان الحقيقي الناشئ عن أدلة، وعن جدل عقلي حقيقي فإن الشُّبَه التي تُطرَح تكون أضعف بكثير من هذا الإيمان؛ لأنه أصبح إيمانًا مدعومًا بالأدلة، وأصبح قناعة حقيقية، ولم يصبح ممارسة الإنسان يلتقي بها المجتمع، أو يجامل فيها الأب والأم وغيره، أصبح قناعة راسخة عنده.

هذا الذي يستطيع المجتمع أن يركز عليه، إذا أردنا شبابا أقوياء لا تؤثر فيهم هذه الجدالات، بل يغلبونها بما عندهم من أدلة، وقناعات، فحينئذٍ نحن أمنَّا الشباب، فإننا في الواقع لا نستطيع أن نمنع هذه الجدالات، ولا نستطيع أن نغلق الباب دونها، ولكن إن استطعنا أن ننشئ شباباً أقوياء لا يتأثرون بهذه الجدالات يكون المجتمع قد ساهم في تكوين هذا الشباب.

الاعتماد على أن الشاب إذا قلت له هذا الكلام كذا، فيطيع الكلام، ويسمع الكلام، أنه سيصبح مؤمنا صالحا اعتماد ضعيف، كم رأينا من حفاظ للقرآن انتكسوا، وكم رأينا من أناس كانوا في خط الدعوة وهداية الناس وغيره رجعوا حتى أصبحوا يجادلونك في فرضية الصلاة، ويجادلونك في فرضية الصيام، ويجادلونك في صحة الأمور الدينية الضرورية.

فالحقيقة: أننا كلما بنينا الإيمان الحقيقي القائم على القناعة، كان هذا الشاب أقوى في مواجهة هذه الشبهات التي تَرِد.

سادسا- التصور الإسلامي عند الشاب وقضية النسوية (اضطهاد المرأة).

في الحقيقة موضوع النسوية كبير جدا، يُطرَح ويقتنع به كثير من الشابات على وجه الخصوص، ويجدون في ممارسة المجتمع ما يدعم كلامهم.

وإذا أردنا أن نفصل الكلام هنا نقول الآتي: التصور الإسلامي الصحيح أن الله عَزَّ وَجَل هو الخالق، وهو الذي يملك الذكر والأنثى، ولم يفضل الذكر على الأنثى، ولم يفضل الأنثى على الذكر، فالدعوة الآن إلى أن الأنثى أفضل هي أيضًا شطط ورد فعل، وإذا نتكلم عن عقلانية ردود الأفعال فلا تكون عقلانية في الغالب، فهناك من يتمسك بأن الذكر أفضل مطلقًا، وله الحقوق كلها ويفعل ما يشاء، والمرأة ليست كذلك، ثم يأتي يدعم هذه النظرة بآيات وأحاديث يفسرها بهواه.

وهناك من يرد الفعل بالعكس، يؤكد على أن الأنثى أفضل، ويريد في سبيل إثبات هذه النظرة أن يجمع وقائع تاريخية وغيرها، ويدرس مجتمعات تدار بواسطة المرأة، ويقول إنها أفضل من الرجل، وأن الحروب لا تقوم وتنشب إلا بسبب الرجال، والمرأة دائمًا تدعم السلم، ومن هذا الكلام الذي يروجونه، وفي سبيل هذا يردون النصوص، ويردون ثوابت الدين.

والحق:

1. أن الله عَزَّ وَجَل أولاً هو من خلق الاثنين ويملك الاثنين.

2. وأنزل الله عَزَّ وَجَل تشريعًا عادلاً للاثنين، وكلَّف الاثنين على قدم المساواة بتكاليف كثيرة، ثم كلف الرجل بتكاليف، وكلف المرأة بتكاليف، والحقيقة معظم التكاليف التي توجهت للمرأة فيها تخفيف عنها.

في ظل هذا تحمل كثير من أحكام الشريعة وتفهم، أما أن تؤتى ببعض النصوص هنا وهناك، ويساء تأويلها وتفسيرها، ثم يمارسها الناس بشكل خاطئ، فمثلا قضية العضل أو الضرب، وكذا الاضطهاد الذي يحدث في مجتمعاتنا للمرأة، فهذا كله لا يبرره دين، كما لا يبرر الخروج عن الدين.

هناك بعض التصرفات من الناس، ليس لها من الدين ما يبررها، كأن نجد كثيراً من الناس يتسلطون على ميراث أخواتهم، أو يضربون الزوجات والنساء، أو يمنعون عن النساء كل أسباب الكرامة، ثم يقولون الإسلام يقول هذا، والإسلام يأمرنا بهذا، والإسلام فضَّل الرجل على المرأة، والرجل يفعل ما يحلو له لأن الإسلام فضَّله، كل هذه الأفعال لا يوجد في الإسلام ما يبررها.

وأيضًا هذه الأفعال لا تبرر للطرف الثاني للنسويات وغيرهم أن يخرجوا على الإسلام، هذا من حيث المبدأ، والتصور العقلي.

وأوجه الكلام لفئة في المجتمع هي غالية علينا، فئة بناتنا الذين تأثروا بهذه الفكرة، وأصبحن يطالبن ببعض الأمور، ويقمن بحركات وأنا أعلم تمامًا أن هذه المرحلة العمرية الحماسة فيها سبعين في المئة، أو ثمانين في المئة، والاقتناع العقلي يكون محدودا، وكل هذه الأفكار التي يقتنع بها الشباب ويموجون فيها فترة، هي فكرة تطرح ولكن وراءها أجندات، فهي ليس خالية عن أجندات، وتقتنع بعض الشباب فيها ثم يدافعون عنها، وفي سبيل الدفاع عنها يحتقرون الآخرين، ويحتقرون الأفكار الأخرى، بل يصل ببعضهم أن يحتقر في بعض الأحيان الثوابت والدين.

والذي أنصح به الشباب والشابات هو القراءة العميقة لدينهم، والنقاش الحقيقي للقضايا التي فيه، والابتعاد عن الشبهات التي تهزز ثوابت الإسلام ومبادئه مثل قضية المرأة أفضل من الرجل، أم الرجل أفضل من المرأة، ولا يتحرروا

أبدًا من قضية مهمة وهي أن المرأة ملك لله عَزَّ وَجَل، والرجل ملك لله عَزَّ وَجَل، والله يحكم ما يشاء في خلقه، ولو تتبعنا أحكام الله عَزَّ وَجَل التي ميَّزت أو فرَّقت بين الرجل والمرأة، سنجد وراءها حكمة، ابتداءً من الميراث إلى القوامة، إلى غيرها، ولم تميز في سبيل التفضيل، كلما حدث تمييز للرجل على المرأة فإنه تمييز لتحميل المسؤولية.

هذه القاعدة تقريبًا تكاد تكون عامة، وهي "كل تمييز للرجل في الأحكام عن المرأة فهو تمييز لتحميل المسؤولية"، فإن الله -عَزَّ وَجَل- يقول للرجل: أنت أيها الرجل بما أنك أقوى في البنية فأنت مسؤول، وهذا ليس امتيازا.

* **مثال ذلك:** عندما أعيِّن مديرا لمؤسسة فأنا لا أميزه، وإنما أحمّله المسؤولية؛ لذلك لو استغل المدير هذا التمييز في مصلحته الخاصة، فهذا يعتبر في حقه تجاوزاً، فممكن أن أفصله، وهكذا حين يعطي الله عز وجل ميزة لشخص على شخص فإنه ليس تمييزًا مطلقًا، بل هو تحميل للمسؤولية، يجب أن يكون هذا واضحًا ومفهومًا عند الجميع.

نجد هذا الأمر ميزة عند الرجل كذلك نرى أن هناك ميزات كثيرة أخرى عند المرأة.

ومصداق ذلك قال الله تعالى ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾(النساء: **32**).

وفي الآية: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾(النساء: **34**) أي الرجل مفضَّل في أشياء، والمرأة مفضلة في أشياء.

فالرجل مسؤول فيما يتعلق بالرعاية والمسؤولية الخارجية والإشراف العام عن الأسرة والصرف عليها وغيره، لأنه بُنِيَ بهذا الشكل، والله صممه أقوى عضليًا، وأكثر صبرا على الأعمال الشاقة.

ولكنه ليس أكثر صبرًا على رعاية البيت، هذه ميزة المرأة، وهي ميزة الرعاية والاهتمام، ولا نستصغر هذا، ولا نستصغر قضية الجو الإيجابي، الدفء والجو العاطفي في البيت للجميع، وهذه الأمور كلها لا يملكها إلا النساء والمرأة قد تكون عنصرا في إشاعة السلم والأمان والصلح في مجتمع بأكمله، وليس فقط في بيت زوجها، أو في بيت إخوانها وأخواتها، وإذا كانت امرأة عاقلة، وشخصية قوية فقد تؤثر هذا التأثير وتمتد قوة شخصيتها وتأثيرها على بيوت عديدة، بيوت إخوانها، وأخواتها، وإخوان زوجها، وأخوات زوجها، ويمتد تأثيرها إلى هذه المناطق كلها، وهذا لا يملكه الرجال بسهولة.

أ - قضية الحرية:

الحرية في هذا العصر عبارة عن دعوات ونداءات وراءها أجندات، والحرية حق مقدس لكل إنسان، ولكن لا يوجد في الكون كله حرية مطلقة، ولا يوجد قضية أن يُمنَح الإنسان الحرية المطلقة ليفعل ما يشاء، هذه قضية خيالية.

فعلا هي خيالية لأن الشخص مهما كسب من الحريات، لا بد أن يصطدم بحريات الآخرين، وهنا لا بد من وضع ما يتحكم وينظم القضية حتى لا يقتتل الناس.

*** أضرب مثالا:**

أنا حر أشتري ما أشاء، وأي شيء أريد أن أشتريه أقدر أشتريه، ولكن إذا راتبي ما يكفي لأشتري السيارة الغالية وكذا، فلن أستطيع شراءها، هنا أنا حددت حريتي.

كذلك، لما أطالب بحريتي الآن، وأطالب بزيادة راتبي، فيطلب مني: زِد العمل، فأنت لست مطلقًا بالحرية.

والمثال نفسه ينطبق على كل شيء، له علاقة بقضية الحريات لما تُطْرح، فإنه قد تطرح بشكل منطقي وسليم، وهنا يجب أن نؤيدها، ويجب أن ندعمها، وألا يضيق على الإنسان في حياته، ولا تقيد حريته لغير سبب، وقد تطرح في إطار الخروج من النظام، ومن القانون، ومن الخُلُق، والنظام والقانون يضعان حدودا للحريات، والمطالبة بالخروج عليها مطالبة بتخريب المجتمع، وإذا كانت الحرية خروجًا على الشرع، وعلى تعاليم الدين هذا أيضًا محادة لله عَزَّ وَجَل، وإذا كانت الحرية خروجا عن الأخلاق، خروجا عن قيمة احترام المجتمع، واحترام الوالدين، فهنا الحرية تكون تكلفتها عالية جدًا؛ لأنها تُفقِد المجتمع أثمن ما يملك وهو الخلق.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وللأسف معظم دعوات الحرية التي يروج لها تصطدم بهذه الثلاثة أو بأحد منها.

ب - اصطدام الحرية بالدين:

الدين قائم على قيمة عالية، لفظها معاكس الحرية تمامًا، ولكن جوهرها هو قيمة الحرية المنضبطة، الدين قائم على مبدأ العبودية لله عَزَّ وَجَل، والإنسان ما لم يحقق العبودية لله عَزَّ وَجَل فلن يتحرر تحررًا كاملاً، لأن الحرية المطلقة غير موجودة، وإذا حاول كسر عبوديته لله عَزَّ وَجَل، وانطلق يبحث عن حريته سيتحكم فيه أصحاب السلطة، وأصحاب المال، ومروجو الشهوات، كلهم سيتحكمون فيه، وسيضيقون حريته.

*** أضرب مثالا على ذلك:**

في الغرب المرأة التي تطالب بحريتها وتستطيع أن تفعل ما تشاء من العلاقات، ومن الإجهاض، تقع في النهاية أسيرة لتجار الموضة، وأسيرة لأرباب العمل، وفي

النهاية حريتها لم تعد مطلقة، ولكن قُيِّدَت.

فحينما نقول إن العبودية لله عَزَّ وَجَل هي سياج لحرية حقيقية، فالذي يضمن لنا حرية متوازنة في حياتنا هو تحقيق العبودية لله عَزَّ وَجَل، فإنك إما أن تكون عبدًا لله، أو تكون عبدا لأشياء أخرى؛ ولأن لك حاجات، والحاجات لكي تلبيها لا بد أن تخضع لمن يبذل لك هذه الحاجات، فحينئذٍ لن تستطيع التخلص من سلطات الآخرين.

وربٌّ واحد أفضل من أرباب متشاكسون، يتحكمون في الإنسان.

(47)

التساؤلات الشبابية (2)

يسأل الشباب عن أمر مهم جدًّا، حين يقول أحدهم: من أنا؟ وهذا أعمق وأهم سؤال، وتنبني عليه الحياة بكاملها، إذا لم يدرك الشاب من هو، وإذا لم تدرك الشابة من هي على وجه التحديد، فكل التصورات في الحياة ما الدين الذي يعتنقه؟ .. وماذا يراد منه في هذا الكون؟ وما مصيره؟ وماذا يجب أن يفعل؟ وماذا يجب أن يترك؟ وهذه التساؤلات تنبني بناءً مباشرًا على إجابة هذا السؤال من أنا؟ وإذا سأل الشاب نفسه هذا السؤال، ينبغي أن يصل إلى تعريف حقيقي لهذا السؤال، أو إلى جوابٍ حقيقي.

اليوم لو سألت مجموعة من الشباب من أنتم؟ وقلت لهم أريد جوابا ينطبق على جميع البشر بلا استثناء، أي يُعرِّف لي الإنسان بما أنه إنسان، والجواب ينطبق على جميع البشر، ستجد أن كثيرا من التعريفات غير منطبقة على الجميع؛ ولو أن الإنسان عرَّف نفسه بأنه ذكر أو أنثى فإنه لا ينطبق على الجميع، ولو عرف الإنسان نفسه بأنه ينتمي لهذه البقعة الجغرافية، أو لهذه القبيلة، أو لهذا الدين، أو لهذا الانتماء فإنه كذلك لن ينطبق على الجميع.

الجواب الذي ينطبق على الجميع أن الإنسان كائن مخلوق، والإنسان مخلوق لله عَزَّ وَجَل، وهذا المخلوق له تكوين، وإذا فهم الإنسان هذا التكوين، فإنه يستطيع أن يتعامل مع كثير من المعطيات في حياته، وقد علمنا اله تعالى مَن هو هذا الإنسان ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72)﴾(ص:71-72).

هذا الإنسان مخلوقٌ لله عَزَّ وَجَل مكوَّن من شقين:

- مكون من الطين.
- ومكون من الروح.

وإذا فهم الإنسان هذه المعادلة فإن كثيرا من القضايا تنحل عنده، ولعلنا نأتي عليها نوضحها.

لكن بدايةً: الإنسان مخلوق، يشارك جميع المخلوقات الأرضية الحية، في أن له هذه المكونات الطينية، يحتاج إلى الأكل، وإلى الشرب، وإلى ممارسة حياته، من التناسل، والسكن، وكل هذه الأمور يحتاجها لأنه مخلوق من الطين، وهذا يعني أنه مركبة فيه الطبائع والغرائز التي تحقق هذه الأمور، ولهذا فإن الإنسان يبحث، ويريد أن يحصل على طعامه، ويريد أن يشبع رغباته، وكل هذه الأمور آتية من الشق الطيني.

وهناك شق آخر يتميز به الإنسان وهو الذي به التكليف، وبهِ يعرف الإنسان الأمور الخارجة عن هذه الحياة وهو شق الروح، الذي يقول الله عَزَّ وَجَل فيه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾(ص:**72**) هذا الشق هو سبب التكريم، وحينما يكلف الله عَزَّ وَجَل هذا الإنسان بتكاليف، فإنه يخاطب هذا الشق من الإنسان، الذي هو الشق الروحي.

الروح هي التي تسمو إلى السماء، وهي التي تتطلع إلى العلاقة بالله عَزَّ وَجَل، وتتطلع إلى القيم العليا، التي منها الأخلاق، والإنصاف، والعدالة، والحرية، وكل هذه الأمور تطلبها الروح، فإذا عرف الإنسان أنه مكون من هذين الشقين، وعرف متطلبات كل شق منهما ستتضبط عنده كثير من المفاهيم.

من خلال هذا ندرك بوضوح مفهوم الحرية، ويمكن تطبيق هذا على باقي المفاهيم:

حينما يتوه الإنسان عن تكوينه، ويرى أنه مجرد جسد، أو مجرد مخلوق مثل المخلوقات، فمفهوم الحرية عنده سيكون عبارة عن الحصول على الشهوات والملذات، وحينما يتضح له مفهوم الروح ويعرف أن هذه الشهوات والملذات إنما هي فقط خُلِقَت فيه لكي يبقى هذا الجسم، ويحقق الرسالة المطلوبة من الروح، فالحرية عنده تعني حرية أن يتكلم دون أن يقيَّد، وحرية أن يعبِّر عن رأيه، وأن يحمي الضعفاء، وهذه هي الحريات المطلوبة.

الحرية أن يكون إنسانًا، لا أن يكون حيوانًا؛ بمعنى أنه لو طالب بالحرية للجسد فقط، فإنما يطالب بحرية حيوانية، ولو طالب بحرية للروح والجسد، فهو يطالب بحرية إنسانية، فإذا عرف الإنسان أنه إنسان بالروح والجسد، ستختلف الحياة تمامًا، وستختلف حتى نظرته لكل الأمور، وستختلف نظرته لكثير من الإشكالات الموجودة، بل ستختلف نظرته للعلاقة بين الجنسين، للمال، وللطعام والشراب، وللمتع، وستختلف نظرته لمفهوم الترفيه، وللحرية، كل هذه الأمور ستختلف تمامًا بين أن ينظر إليها من منظور الجسد فقط؛ لأنه لا يرى في نفسه إلا جسداً، حاله حال الحيوان المخلوق بهذه الصورة، أو أن ينظر إلى نفسه نظرة أعلى من هذه الحيوانات، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾(الإسراء: **70**) هذه النظرة هي أن الإنسان المكلف بعمارة الأرض، وبالخلافة في هذه الأرض، هذه النظرة تغير هذه المفاهيم كلها، وتصبح كل هذه المفاهيم لها معنى آخر.

فرق بين أن أطالب بالحرية للجسد وللشهوات، وبين أن أطالب بالحرية للقيم والمثل التي تمثلها الروح، كذلك فرق بين أن أنظر للمال على أنه محقق للملذات والشهوات، أو أن أنظر للمال على أنه محقق للقيم العليا، وداعم لها، وممكِّن من نشر قيم العدالة والسماحة والمروءة.

1- ميزات كون الإنسان مخلوقا من طين، وليس مخلوقًا من نار:

إن الإنسان خُلِق من الطين من مادة الأرض التي سيعيش فيها؛ ولكي يعمر هذه الأرض لا بد أن يكون مناسبًا متوافقًا مع عناصرها لأنه سيتغذى منها، وسيعيش فيها، وسيعمرها، فلا بد أن يكون مناسبًا لها، وكونه خُلِقَ من الطين لا يفيد أن الإنسان الآن طين محض، ولكن العناصر الموجودة في هذه الأرض هي نفس العناصر الموجودة في جسم الإنسان تقريبًا، فكونه مخلوقاً من الطين، هذا إشارة إلى أنه له حاجات مثل حاجات كل المخلوقات والمخلوقين، له حاجات مثل حاجات الحيوانات بالضبط، وهذا ليس انتقاصًا من الإنسان، ولكنه فهم لطبيعة الإنسان، فالإنسان يحتاج كما يحتاج أي مخلوق على الأرض، يحتاج أن يأكل، وأن يشرب، وأن يُخرِج الفضلات، وأن يتزاوج ويتناسل.

هذه الغرائز خُلِقَت في الإنسان لكي يستمر هذا النوع البشري، ولكي يعمر الأرض، وخُلِقَت هذه الرغبات لكي يطلب الإنسان أن يفعل هذه الأشياء من أجل بقاء ذريته، ويستمر ذكره، هذا معنى الطين.

فما الذي يميز الإنسان عن باقي هذه المخلوقات؟

الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يفكر ويتأمل، والمخلوق الوحيد الذي له مشاعر حقيقية، والمشاعر تدفعه إلى أعمال فهو يحزن، ويفرح، ويضحك، ويبكي، وباقي المخلوقات لا تمتلك هذه المشاعر، ولو وُجِدَت أشياء بسيطة مثل الخوف في بعض الحيوانات فإنها لا تدفع إلى إنجاز حضاري، بخلاف المشاعر عند الإنسان. وهذا الجانب الروحي الذي ميّز هذا الإنسان عن بقية المخلوقات وضعه الله عَزَّ وَجَل في الإنسان لكي يكون هو مناط التكليف، فالعقل والروح هي المخاطبة بالتكليف، وهي التي تستشعر القيم العليا في هذا الكون.

2- إعمار الأرض وبناء الطاقات والمواهب والقدرات والإمكانات: نظرة سريعة لموضوع الإنسان بأنه مخلوق من الطين والروح، هذا مختصر للصورة، غير أن

الصورة أكثر تعقيداً، فالإنسان أكثر من كونه مجرد طين وروح، ففيه العقل، وله ميزات، طبعًا تشترك مع الروح، ولكن هناك أشياء تميز العقل والنفس، وهناك أشياء تميز النفس والفطرة أيضًا.

الإعمار هو هدف من أهداف خلق الإنسان، ومقصد من مقاصد خلق الإنسان ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(هود :61).

والمقصود بالإعمار أو إعمار الأرض، أن الإنسان بطبيعته بما مُكِّن من ملكات يستطيع أن يفعل أكثر مما يفعل باقي المخلوقات.

* **على سبيل المثال:** في السكن، الإنسان يستطيع أن يبني مسكنًا، ثم بالقدرات التي أعطاها الله عَزَّ وَجَل للإنسان وبهذا العقل، ثم بهذه الرغبات يستطيع أن يطور هذا المسكن حتى يكون مسكنا مرفَّها، ومساكن، وعمائر، وقصورا، وبيوتا، مختلفة عن بعضها البعض، هذه هي إمكانات الإنسان في موضوع التعمير، ولكن هذا كله تعمير مادي، ونحو ذلك قدرة الإنسان على بناء المصانع، وبناء الصروح، كلها تعمير مادي، وهو مهم لبقاء البشرية، وهو الوجه الظاهر من المنجز البشري.

لكن ينبغي أن يُعلَم أن إعمار الكون المطلوب، أو التكليف الذي نزل للإنسان فيه أن يُعمَر الكون بمنهج الله عَزَّ وَجَل، لا أن يُعمَر بمناهج اختيارية؛ بمعنى إذا ترك الإنسان المنهج الصحيح؛ منهج الله عَزَّ وَجَل، وبدأ يجتهد في إعمار الكون، فإن الذي سيحركه في الإعمار هو الرغبات من الشق الطيني، والرغبات تحرك الإنسان بالأطماع، والشهوات، وتحركه بالظلم والتنافس؛ وحينما ينافس الإنسان الإنسان على قطعة أرض، أو على ثروة، أو غيره فإنه يتسبب في الظلم والحروب، والقتل.

فالمطلوب إعمار الكون بمنهج الله عَزَّ وَجَل، وهذا الذي يميز الإنسان الخاضع لله عَزَّ وَجَل، الذي يفهم لماذا وُجِد في هذا الكون، وكيف ينبغي أن يعمر الأرض.

دور الشباب في هذا الإعمار:

كل الناس تتاح لهم الفرصة، وكلٌّ على حسب قدراته لكي يسهم في إعمار هذا الكون، ومن يركز على الإعمار المادي فقط، فهو يساهم في بناء حضارة مشوهة للإنسان.

ومن يركز على النقاء الروحي فقط فإنه لا يبني حضارة على وجه المعمورة لأنه ينعزل عن جميع الحضارات وما في معناها. أما الذي يبني وهو يركز على الإعمار المادي والروحي، بمعنى أن يجعل الإعمار المادي سببًا لدعم الإعمار الروحي هذا الذي يبني الحضارة المتزنة للإنسان.

*** ونضرب أمثلة على ذلك:**

في موضوع التجارة، إن الشركات العملاقة والشركات التجارية العابرة للقارات والمصانع الضخمة وغيرها، حين كانت تركز على الشق المادي فقط، فإنها تتسبب في أضرار للبيئة، وتتسبب في تهجير للناس من مساكنهم، وفي كوارث بشرية، واستنزاف للموارد، وتتسبب في أشياء كثيرة؛ لأن المحرك هو الشق المادي والنفعية المطلقة.

وحين يأتي عائق مثلاً: اعتراض لأهل قرية، وقد أقيم المصنع بأراضيهم وأهل القرية غير راضين بالوضع، تجد هناك التحايل على القانون، والتحايل على الأخلاق، ودفع الرشاوي من أجل أن تحصل هذه المنفعة المادية، ويُضرب عرض الحائط بهذه القيم الكبرى، وحق البشر في الحياة الكريمة.

لكن حينما نقول إن الحضارة ينبغي أن تُبنى ماديًّا وروحيًّا فإن مثل هذه الأمور مما تلحق الضرر بالناس من التصرفات غير الأخلاقية من المصانع الكبرى إما أن تتوقف، أو توضع حلول لها؛ يعني حينما يكون بناء الحضارة مدمرًا للبيئة، أو

مدمرًا لحياة الناس، أو مخربًا لحياة القرى أو كذا، فإنه من يفكِّر بالجانب الروحي مسلمًا كان أو غير مسلم، وكان تصوره عن الإنسان أبعد من كونه فقط كائناً يجمع الثروة، ويجمع السلطة، ويتبع الشهوات، سيبدأ يفكر في قضية كيف نحافظ على البيئة عندما ننشئ مصنعا، وكيف نحافظ على البيئة عندما ننشئ طريقًا، وكيف نحافظ على حياة الناس حينما نفعل كذا وكذا..

*** ومن أمثلة ذلك:**

من أضخم الشركات اليوم في العالم شركات الأسلحة، وشركات الأسلحة تتاجر في أخطر شيء وصل إليه عقل الإنسان، وهو السلاح الذي يقتل البشر وبكميات كبيرة. هذه الأسلحة تنشأ لها المصانع من أجل أن تبيع، ومن يقف وراءها ينشط في استحداث حروباً، وخلافات ودعمها، حتى تجد بعض استراتيجيين كبار- الذين يتبعون للقوى العظمى-، يقولون: نحن ليس من مصلحتنا حل المشاكل في العالم، ولكن مصلحتنا تكمن في الحفاظ على التوترات، وإدارة مصالحنا من خلالها، حتى تباع وتُمرَّر الأسلحة.

من هنا ينبغي على الشاب أن يفهم أنه إذا أراد أن يقوم بتعمير الكون، يجب ألا يبتعد عن ذهنه وكيانه الشق الروحي منه؛ لأنه إذا ابتعد فإنه سيفقد كينونته، وسيفقد كونه إنساناً.

ضربت أمثلة بالشركات العملاقة والشركات الكبرى وغيرها، ولكن هذا يُطبَّق أيضًا حتى على مستوى الفرد، فالشاب إذا كان يدرس في الجامعة، أو تخرج منها قريبًا واستلم وظيفة، أو سيستلم وظيفة، فإنه سيصبح مسؤولاً عن مشاريع منها مشاريع عمارة، أو يصبح مسؤولاً عن إنشاء طريق، أو عن مؤسسة تعليمية، أو عن مصنع، أو عن شركة وغير ذلك من أمور.

وحينما يتحرك بالقيم والأخلاق مع الإعمار فإنه سيحاول أن يوسع النشاط الذي يشرف عليه ويقويه ويشيده ويبنيه، ولكنه سيراعي ألا يضرب القيم، لكن لو لم يفعل هذا، ولو اتبع فقط الشق المادي سيقبل بالرشاوى، والتسيب في العمل، وسيقبل بتفويت المصالح العامة، في سبيل مصلحة خاصة، وحينئذٍ قد يشيد نعم، ولكن تشييد مشوه مؤقت، سرعان ما يحرك في المجتمع قيما سيئة، وسرعان ما تنتشر الرشوة، وتنتشر الأخلاق السيئة من السرقة والغش وغير ذلك، وكل هذا ينتشر في المجتمع؛ لأن الإنسان لم يحرص، أو لأن هذا الشاب لم يحرص على الاستجابة لبشريته الكاملة، ويعترف بكونه طينا وروحا معًا، وإذا لم يستطع التوازن هذا، فإنه سينتج حضارة مشوهة.

3 – الإنسان مخير في جميع تصرفاته

بيّن الله تعالى هذا الموضوع صراحة في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: **2-3**)، فالإنسانعنده أدوات الاختيار، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(الإنسان:**3**).

بناء على الآية فإن الله سبحانه خلق الإنسان مختارًا؛ بمعنى يستطيع أن يحدد الصواب والخطأ بعقله، ثم يملك إرادة اختيار الصواب، أو اختيار الخطأ، لاحظ أن الإنسان قد يعرف أن هذا الشيء خطأ ثم يختاره.

ومن الأمثلة الكثيرة على هذا: السيجارة كل واحد يعرف أنها خطأ، ثم بعض الشباب يختار أن يدخنها.

والله عَزَّ وَجَل لم يترك الإنسان هملاً، ولكن وضَّح له المنهج، وأرسل له الرسل، وهداه السبيل، وعلمه الخير والشر، ثم ترك له الخيار، فعلى الإنسان أن يدرك أنه

مختار، وأنه يتحمل مسؤولية اختياره، بل من المغالطات الكبيرة التي يقع فيها الشباب حين يقول لك: أنا حر أختار ما أشاء، نعم، أنت حر تختار ما تشاء، ولكنك أيضًا مُساءَل عما تختار.

المقصود أنك عندما تختار شيئًا خطأ، ويأتيك شخص يقول لك: ترى ما تفعله حرام أو إضرار، لا تقل له: أنا حر، يجب أن تتحمل المسؤولية، فمن اختار الخطأ وارتكب المحذور فإنه يتحمل مسؤوليته.

وهذا معنى عقيدة الجزاء في الإسلام، أن الإنسان مخير نعم، وأنه مجزيٌّ بما اختار، إما في الدنيا إذا كان انتهك حقوق الناس، أو في الآخرة إذا كان ظلم الناس، ولم يجاز في الدنيا، فإته سيجد جزاء أعماله في الآخرة.

هل الإنسان مخير أم مسير؟

بكل وضوح نقولها: الإنسان مخير، والله عَزَّ وَجَل خلق الإنسان مريدًا مختارًا، وكلّفه بهذا الاختيار، وسور القرآن التي نصت على هذا وآياته كثيرة، ونصت كذلك على أن الإنسان مجزيٌّ بما يختاره وبما يفعل.

4 - لماذا نعبد الله وهو غنيٌّ عنا وعن عبادتنا؟

هذا السؤال يَرِد على الجميع: **ما دام الله عَزَّ وَجَل مستغنياً عنا، فلماذا يكلفنا بالعبادة؟**

الله عَزَّ وَجَل اقتضت حكمته أن يخلق البشر لأمرٍ واحد، فالكون كله خاضعٌ له جبرًا، والله عَزَّ وَجَل مالك هذا الكون، وأراد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لحكمته أن يخلق مخلوقًا، وهذا المخلوق يزوده بالقدرة على الاختيار، له أن يختار أن يعبد أو لا يعبد، وليس كباقي المخلوقات، ولإثبات أن هذا المخلوق يمتلك حرية الإختيار أن الله عَزَّ وَجَل مستحقٌّ للعبادة حتى لو امتلك هذا المخلوق الخيار. هذا هو معنى التكليف.

المخلوق الذي اختار الله عَزَّ وَجَل أن يخلقه هو الإنسان، والله عَزَّ وَجَل لم يخلقه ويكلفه عبثًا، إنما خلقه وجعل له الإرادة، ووضح له الخير والشر، ثم هداه بالرسالات والهدى، ثم تركه في هذا الكون، ومن ضمن ما سخره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لهذا الإنسان، أنه لكي يستمر في هذا الكون معتدل الحياة، فلا تشكل عليه هذه النفسية المتنازعة بين شهوات الجسد والطين، وأشواق الروح، فرض عليه العبادات، وبذلك يبقى متصلاً بالله عَزَّ وَجَل.

من الذي يحتاج للعبادة، الله أم المخلوق؟

المخلوق هو الذي يحتاج إلى العبادة، لكي يقوم بهذه المهمة التي وضعها الله عَزَّ وَجَل فيه كأشرفَ مخلوق من مخلوقات الله عَزَّ وَجَل ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾(التين:**4-5**).

وإذا تخلى عن هذه المهمة، وقال: لا، أنا لا أريد أن أعبد الله عَزَّ وَجَل، ولماذا يكلفني الله عَزَّ وَجَل بالعبادة؟ وهل هو محتاج لعبادتي؟ هنا يتنازل الإنسان عن هذه المكانة العليا التي وضعها الله عَزَّ وَجَل فيها كقمة مخلوقات الله.

وبما أن الإنسان قد اختار بنفسه فإنه يتحمل المسؤولية، والإنسان يحتاج أن يكون متصلاً بالله، متصلا بالقوة العظمى، القوة الأزلية الأبدية التي تدير هذا الكون، ولذلك فالعبادة بهذا المعنى ليست تكليفا، ولكنها تشريف، فالعبادة تشريف لهذا الإنسان، وحينما يطلب الله عَزَّ وَجَل منك العبادة وهو الغني عنك، يطلب منك أن تكون قريبًا منه، ومتصلاً به.

*** أضرب مثالا ولله المثل الأعلى دائمًا:**

الإنسان الذي يُكلَّف تكليفا مباشرا من أعلى سلطة في البلد، هل هذا التكليف تكريم ولا إهانة؟

مَن مِنَ الناس لا يتمنى أن يأتيه اتصال من أعلى سلطة في البلد تقول له: أنت مكلف بهذا الملف أو هذه المهمة، كل إنسان يتمنى أن يكون، وحتى لو كانت شاقة فهو مستعد أن يبذل الغالي والنفيس لينجزها.

قضية العبادة ليست تكليفا لك لكي تؤدي شيئا يحتاجه الله عَزَّ وَجَل منك، ولكن التكليف بالعبادة هي أوضح مثال على أن الغني سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتلطف بك، ويعطف عليك، ويشرفك بعبادته.

لاحظ أن الله عَزَّ وَجَل وصف نبيه بأوصاف كثيرة في القرآن، أشرفها العبودية؛ ولذلك أطلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على نفسه التسبيح ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾(الإسراء:1) في هذه المعجزة الضخمة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ (الإسراء:1)، ووصفه ﴿بِعَبْدِهِ﴾(الإسراء:1) في أشرف مقام، قال ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ (الإسراء:1) ليس بنبيه ولا برسوله.

فالعبودية مقام عال وهو أن يختارك الله عَزَّ وَجَل فيكلفك بالعبادة، وإذا فهمت العبادة بهذا الشكل فهمت العبادة على أنها فرصة لك أن تستدعى إلى حضرة الله عَزَّ وَجَل فتدخل وتؤدي العبادة، ولن يكون طعم هذا التكليف الذي تراه، بالعكس ستكون أنت من تشتاق لها.

أقول للشباب هذه الكلمة، كنا في مرحلة الشباب مثلكم، نستثقل العبادة، ونستثقل منعنا من بعض الشهوات وبعض المتع التي نضطر نتركها لنذهب نصلي وكذا وكذا، ونستثقل منعنا من النوم لكي نصلي الفجر، لما كنا شبابا كنا نشعر هذا الشعور.

لماذا كنا نشعر هذا الشعور؟

كنا نشعر بهذه الطريقة لأن الشق المسيطر علينا شق الطين من أنفسنا، أما

شق الروح حينها لم يتضح لنا، ولم نعرف قيمته، ولم نتذوق لذته، ولكن لما بدأنا نكبر، وبدأ شق الطين هذا يخوننا، وبدأت قوانا تخوننا، كنا لما نلعب كرة ونرتقي لضرب الرأس كل واحد أعلى من الثاني، وأصبحنا لا نستطيع القفز، ولا نستطيع الجري بعدما جاوزنا الأربعين والخمسين، **فبدأ شق الطين هذا يخوننا**.

أين الملاذ؟ أين الطمأنينة؟ أين القوة؟ أين التأثير؟

لا يُعبِّء شق الروح هذا ويملأه ويجعلك مطمئنًا مرتاحًا إلا كونك قريبا من الله عَزَّ وَجَل، وهذا ليس له طريق إلا العبادة، وبالتالي العبادة ليست تكليفًا لك، هي تشريفٌ لك، والله عَزَّ وَجَل لم يطلبها منك لشيءٍ يريده هو له؛ لأنه غني عن كل خلقه، إنما طلبها منك تشريفًا لك، وطلبها منك إعانةً لك على هذه الحياة، وعلى طبيعة ظروفها.

فهرس المحتويات

الشباب والتوجهات الفكرية 3

الشباب وما يعتريهم من المشاعر والأحاسيس 4
إختلاف شعور الشباب تجاه توجهات فكرية وافدة 5
هل ينصح الشاب أو الفتاة بترك هذه التوجهات والأفكار 9

تساؤلات شبابية 17

من المسؤول عن ضعف الوازع الديني عند الشباب 18
من أين أتى الشاب بهذه القناعات 19
كيف يتعافى الشاب من آثار سقوطه بالذنب 21
أسباب ضعف الوازع الديني في نفوس الشباب 21
تعامل الشاب مع جدالات ونقاشات تثير قضايا كبيرة 22
التصور الإسلامي عند الشباب وقضية (إضطهاد المرأة) 24

التساؤلات الشبابية (2) 31

ميزات أن يكون الإنسان مخلوقا من طين 34
إعمار الأرض وبناء طاقات 34
الإنسان مخير بجميع تصرفاته 38
لماذا نعبد الله وهو غني عنا وعن عبادتنا 39

جمعية البلاغ الثقافية

Al-Balagh Cultural Association

/ISLAMONLINE

/ISLAMONLINE_NET

@ISLAMONLINE

/ISLAMONLINE

islamonline.net/apps

لأي إستفسار

500 44 304

T : +974 44 56 7777 F : +974 445 67766 P.O.Box : 22212 Doha-Qatar
Email : info@islamonline.net Web : balaghcs.org

Al-Balagh Cultural Association